تعال حبيبي إلي

. بســـام أبـو غـــزالـة .

تعالَ حبيبي إليّ،
لنجلسَ طيريْ حمامْ،
ونَشْربَ شايًا على صُفةِ البيتِ،
أو ما تبقّى من البيتِ،
بين الركامْ،
على طللِ البيتِ نشربُ شايا
ونروي حكايا
ونحلمُ أنّ السلامَ سلامْ!
أليس علينا، لكيْ يفرحوا،
تجرُّعُ هذا السلامْ؟
وماذا إذا كان وهمًا، وكان رؤى من قتامْ
نُلفقها مثلما لَفقَ القومُ وَهْمَ السلامْ؟
أليس لنا أن نُطيِّرَ أحلامَنا،
إلى حيثُ يأخذنا الأفقُ خلفَ الغمامْ
كطيريْ حمامْ؟
...
بَلى يا حبيبي،
سنَشْرَبُ شايَ المساء سويًا هنا،
ونَغْمسُ فيه كراديشَ خبزٍ نَجَتْ من جحيمِ القنابلْ،
ونأكلُ حلوى نصَنِّعُها من سرابِ السنابلْ،
نُوزّعُها بين مَنْ لم تُصبْهم شظايا السلامْ.
وإنْ يسألونا، حبيبي، نقلْ:
« صنعنا لكم من رحيق الأملْ
جِرارَ حليبٍ ونهرَ عسلْ. »
...
ستأتي الصحافة، يا قرّةَ العين،
وتنقلُ أخبارَنا الشيِّقة،
تُمْتِعُ بالصورِ الحيّةِ المُتخَمين بِعُشْبِ الكسلْ،
وتمنحُهم ساعةً مشرقة
إذا ما ادلهمّ المللْ.
هُمُو يجلسون قبالة تلفازِهم مرتخينْ،
كأيامِهم مرتخينْ،
ونحن على صُفةٍ بين هذا الركامْ
نذبُّ عن العين سطوَ المنامْ
لئلا تمرَّ « الأباتشي » علينا ونحن نيامْ
فتصطادَنا قبل أن نختبئ في ملاجئَ
كانت ملاجئَ،
هدَّمَها القصفُ فوق رؤوس الأنامْ
وباتوا بقايا ركامْ.
وماذا إذا ما ارتخَيْنا قليلاً،
كما يرتخي المُترَفونْ؟
وحَلَّقَ فوقَ الرؤوس غرابُ الأباتشي
يُجرِّبُ موتًا علينا جديدا،
عقابًا لنا أنْ أَلَنّا الحديدا
وما أَفْزعتْنا المنونْ،
عقابًا لأطفالنا الغاضبينْ
لأنّ عيونَ الصغارِ صقورٌ تُخيفُ الجنودا
وتُورِثُ فيهم كوابيسَ ذعرٍ ومسَّ جنونْ!؟
أما عرفوا بعدُ أنّا
نشدُّ الرحالَ إلى الموتِ سَنّا
لكيلا يزورَ الربيعُ غدًا دارَنا
ولا يجدَ الوردَ والياسمينْ؟
...
حبيبي،
سنُسندُ رأسَكَ فوق ذراعيَ،
أعني بقايا ذراعي،
ذراعي التي بترتْها جنازيرُ دبابةٍ مارقة؛
فإنّ الذي بيننا، يا حبيبي،
عصيٌّ على البترِ.
فاضحكْ إذا ما رأيتَ الجنودا
طواويسَ ترفعُ فوق الركام البنودا
وتحسَبُ أنّ الركامَ سيجعلُ منا عبيدا
ويجعلُ منهم أُسُودا!
تعال حبيبي،

لنشربَ شايًا، ولو كان وهمًا،
أليس جنونُ الخنازيرِ، يا مهجةَ القلب، وهمًا
يلوذ به الجندُ من فزعٍ ناخرٍ في العظامْ؟
وهيهاتَ أن يشفيَ الوهمُ سُلَّ العظامْ!
وماذا إذا صوّرونا معًا نشربُ الشايَ فوق الركامْ،
ونهمسُ بالحبِّ طيريْ حمامْ،
ونَسْخرُ من أعين الجندِ يُحْفون بالصَلَفِ الخوفَ منّا،
ونَضْحكُ حين تهيجُ الوعولُ
فتنطحُ صحرًا على أرضِنا مُطمئنا؟
تعالَ غدًا يا حبيبي،
غدًا سوف يُرفعُ منعُ التجوُّلِ ساعة.
سيذهبُ أهلُ المدينةِ للسوق،
أو ما تبقّى من السوق،
كي يشتروا قُوتَ يومٍ يمرُّ ثقيلا.
تعالَ إليّ، حبيبي،
فعنديَ كسرةُ خبزٍ سأعطيكَها
طعامًا قليلا.
وأما أنا،
فيكفي فؤادي
تألُّقُ وجهكَ عند احمرارِ الشفقْ
وشهدُ رُضابكَ وقتَ الغسقْ
ودمعةُ عشقٍ تَرَقْرَقُ في مقلتيْك
ورجعةُ حسّونةٍ في الأفقْ
يظنُّ جنودُ البلاهةِ أنْ لنْ تعودَ
إذا طاردتها الأباتشي!

نابلس

عُثر على مخطوطة كتبها أحدُ السجناء خالية تمامًا من النقاط. وقد طُلب من أحد «الرفاق» تنقيطها وطبعها على الآلة الكاتبة. ووُجد أنّ النصّ عبارة عن خواطر غير متسلسلة واستذكارات غير منطقية وبذاءات واستخفاف بمقولات الأب القائد وبقيم الحزب والثورة...

سنان أنطون شاعر وروائيّ عراقيّ، ولد في بغداد عام ١٩٦٧. عمل مترجمًا ومدرّسًا في الولايات المتحدة ويكتب حاليًا أطروحة الدكتوراه في الأدب العربيّ في جامعة هارفرد. له مجموعة شعرية بعنوان «موشور مبلل بالحروب» ونشر العديد من النصوص السردية والمقالات في الصحف العربية والأجنبية.